

الحديث ذو شجون للدكتور زكي مبارك

مقاومة التدخين — أين « الرسالة » ؟ ستعرف
الأدب في أيام الشدة كما عرفنا في أيام الرخاء.

مقاومة التدخين

في العام الماضي قام الدكتور شخاخيرى بتأليف رابطة
لمقاومة التدخين ، ومضى يستهدى الفكرين والمؤلفين والوزراء
كلمات في استنكار التدخين . ولم يكتف بذلك ، وإنما اندفع
فنظم سلسلة محاضرات في « دار الحكمة » دعا إليها أشهر
المحاضرين ليقاوم آفة التدخين

والدكتور شخاخيرى رجلٌ مخلص ، ودعوته هذه تستحق
التأييد ، ولكنها معرضة لأخطار سأنص عليها في هذا الحديث
لأهدم الأساس الذي قامت عليه ، ولعل الله يتفضل فيكتب لي النفع
بما تعلمت ، لأنني مع الأسف من المرفقين على أنفسهم بالتدخين
شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر ، ويوقظ الذهن ،
ومن أجل هذا كثر المدخنون من العلماء والكتاب
والسياسيين ، حتى صار من المألوف أن ترى صور الساسة
والوزراء وفي أفواههم السجائر النحاف أو السمان ، وحتى صار
من المسير أن تتصور شاعراً أو زعيماً خلعت حياته من عبث الدخان
لن أقف موقف الواعظ في دفع هذه الآفة ، ولكني سأقف
موقف المؤرخ ، ثم أترك الحكم للقراء فيما سأسوقه من البيانات
أول أمة عريقة في التدخين هي أمريكا القديمة ، أمريكا
الأمريكية ، لا أمريكا الأوربية ، أعني أمريكا التي سبقت عهد
كولمبوس ، وسبقت عهد الاتصال بالأوروبيين والآسيويين

فما الذي استفادت أمريكا القديمة من التدخين ؟ هل فتق
أذهان أهلها إلى ألوان من الفكر والعقل والبيان ؟ هل جعل
لأهلها ماضياً في رفع دعائم الحضارة الإنسانية ؟

كلا ، وإنما تركها التدخين أمةً بلا تاريخ
وأقدم الأمم في رفع راية العقل هم المصريون والبابليون
واليونانيون ، فهل عرف هؤلاء التدخين حتى ننسب رقيهم إلى
هذا المرض الفظيع ؟

وهل عرف العرب التدخين حتى نرد السبب في تفوقهم
إلى الدخان ؟

هل دخن الجاحظ والنزالي وابن رشد والبحترى والتنبلي
وأبو فراس ؟

أترك التاريخ القديم وأذكر شواهد قريبة جداً من تاريخ
مصر الحديث :

أعظم كاتب سياسي بإجماع الآراء هو المرحوم عبد القادر باشا
حمزة ، ولم يكن يدخن أبداً ، وما أذكر أنني رأيته طلب فنجان
قهوة في أي وقت وهو يكتب أصعب المقالات
ومن عظماء كتابنا الأستاذ الزيات والأستاذ العقاد ، وهما
لا يمران التدخين . وهذا كلام لا يكاد يصدقه القارىء ، ولكنه
الواقع ، ولا حيلة في إنكار الواقع^(١)

ولو أن الله أراد أن أنتفع بما تعلمت لتذكرت أنني ألفت
كتاب « الأخلاق عند النزالي » وكتاب « النثر الفني » قبل
أن أعرف التدخين ، فمتى أنتفع بما تعلمت ؟

أما بعد فقد دعاني إلى كتابة هذه الكلمة حوادث أغضبني ،
لأن فيها دعاية إلى التدخين ، وهو مرض يفتك بشبان هذا الجيل
الحادث الأول : في الأسبوع الماضي وقف الأستاذ
زهير صبرى يستجوب الحكومة في مجلس النواب عن تسخير
الحاجيات الضرورية ، فلما وصل إلى السجائر قال : إن السجائر
قد غلت مع أن « كيف » القهوة والشاي لا يحلوا إلا بسجارة (١٩)
فهل فاته أن في هذا الكلام إيحاء بأهمية السجائر في الحياة اليومية
الحادث الثاني : في الأسبوع الماضي أيضاً « تفضلت »
الإذاعة اللاسلكية فأذاعت أغنية تنطق بفضائل السجائر ، أغنية
منقولة عن أحد الأفلام السينمائية

وأنا سأثبت هذه الأغنية في هذا الحديث لفرض واحد : هو
تاريخ الحياة الأدبية ، فإيجوز لمؤرخ الأدب أن يترك شيئاً
بلا تقييد ، ولو كان في الدعوة إلى الدخان . وسأدعو الإذاعة
اللاسلكية بمد ذلك إلى التفرقة بين جو الرواية وجو الفناء
عنوان الأغنية « خذ سجارة وهات سجارة » وهي من
الشعر الملحون :

السجارة في الحياه زنى أنا

تسحق وتضحى روحها لأجل غيرها

(١) عرفت أخيراً أن الزعيم الوطنى مصطفى باشا كامل لم يعرف التدخين

صاحبها الصديق . وبالأمر اقتبض صدرى حين حدثنى بأعة الجرائد أنها احتجبت لعدم وجود الورق ، ثم لطف الله فمرت بعد ذلك أنها اكتفت بطبع كمية بقدر عدد المشتركين ، إلى أن يأذن الله بالورق الذى يساعد على أن تنعم السوق من جديد . ليتنى اشتركت فى الرسالة !

هل خطر فى بال من تهمهم سمعة مصر الأدبية فى الشرق خاطر احتجاب الرسالة عن الأسواق ؟

هل آذاهم أن يقال إن مجلة مثل الرسالة لا تجد قوتها من الورق مع أنه قوت مبدول لمنافع قد تضر بسمعة مصر فى أنظار من لا يعرفون غير الجد الصريح ؟

ليست الأزمة أزمة الورق ، فهو موجود ، وإنما الأزمة تنحصر فى انعدام التعاون والتساند ، هى أزمة الأدب اليتيم الذى لا يسأل عنه أحد حين يغييب !

هل صلصل المهتاف فى بيت الأستاذ الزيات من إحدى الجهات للسؤال عن الأسباب التى حجبت الرسالة عن الأسواق ؟ أكان يجب ألا تقتصر الرسالة على الأدب الصرف لتجد من يسأل عنها حين تحتجب ؟

سنصرف طاقة الأدب فى اجتياز هذه المحنة العاتية . وإن اقتضى الأمر أن نرجو الحكومة أن تسمح بإذاعة محصول الرسالة عن طريق المذيع فسنفعل أمها الأدب

أنا غير خائف على مصيرك ، وهل كانت هذه أول محنة صارعتها وصارعتك حتى أخاف عليك ؟

لا تصدق أيها الأدب أننا سنفرط فى استقلالك بأى نمى ، ولا تتوهم أننا سننتخلى عنك بما يسمونه الظروف أو الصروف سنتركك فى أيام الشدة ، كما عرفتنا فى أيام الرخاء ، والله ولى الصابرين .

نكى مبارك

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يولييه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٧٤ سنة ٩٤٢ بحبس عبد الله محمد سيد أحمد الفلاح بالتلبن أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته لجهة الحكومة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٧ مايو سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٢ سنة ٩٤٢ بحبس فريد سيد أحمد الجزار بالاختيوه أسبوعين بشغل وتفرعه ٣ جنيه وإغلاق المحل ثلاثة أيام لبيعه لحوم بأزيد من التسعيرة

حكى فى اللجنة العسكرية ١٤٤٦ النيا سنة ١٩٤٢ بحبس محمد رشوان ثلاثة شهور مع الشغل وجلده ١٥ جلدة لبيعه لحم بعر أزيد من التسعيرة

عمرها فى الدنيا ما شافت هنا
تحيا بين النار عشان يرتاح ضميرها
خد سجاره ، وهات سجاره
السجاره إن كنت يوم حشودق حنائها

تلقى نفسك فى حياه غير الحياه
تلقى طيف اللى تحبه بين دخانها لما فكرك يبق سارح فى هواه
خد سجاره ، وهات سجاره

أنت زعلان ؟ خد سجاره ، خدها منى
يا لله ولها واطفى الشوق بنارها
أنت تبق فى جوها عايش منى والسجاره تبق زى فى مرارها
خد سجاره ، وهات سجاره
السجاره لما تيجى وتواسيك

تفكوى بنارك ومن شوقك تبوسها
هى بتصون الجليل حرام عليك بعد ما تحرقها بالأقدام تدوسها
خد سجاره ، وهات سجاره

وهذه القطعة قوية جداً فى الإبانة عن الغرض الذى نظمت فيه ، ولكن محطة الإذاعة تنسى أن ما يبيحه جو الرواية لتصوير إحدى الحالات النفسية لا يباح عرضه على جماهير بريئة يؤذيها الإيحاء بجهال الدخان

جو الرواية المسرحية أو السينمائية قد يدعو إلى تجميل إحدى الرذائل ولكنه قد يسوق بعد ذلك عبرة تقتل السم الذى بثه المنظر الأول ، وبهذا يتعادل النضال بين السم والرياق

فما عذر محطة الإذاعة فى أن تبث داء بلا دواء ؟
الحادث الثالث : رأيت فى أحد الأفلام ممثلاً يدخن بإسراف مع أنه صديق أعرفه منذ ستين ، وهو ينفخ الدخان ، فلما سألته عن السبب أجابنى بأن الأفلام المصرية تجعل الناس جميعاً مدخنين فما هذا الذى ترى ؟

أزور الحياة المصرية لتشابه الحياة الأمريكية ؟
أنكذب على الواقع فى سبيل الفن ، مع أن غاية الفن هى أن يحسم المحاسن والعيوب ، حين يراى به تهذيب الأخلاق ؟
اللهم حوالينا ولا علينا !!

أبى الرسالة ؟

حدثت قرأى مرة أنى رفضت أن تهدى إلى الرسالة ، لأنى أجد أنسا فى اشتراؤها من السوق ، كأنى أوجه تحية إلى